الأنوار
AL ANWAR
DAILY LEBANESE NEWSPAPER
جريدة سياسية يومية مستقلة

١٥ شباط، ٢٠١١

تتمنى لو تطير ...

صغيرة هي... تلهو مع أترابها، تركض خلف الفراشات، تعدو وراء الهررة، تقفز فوق الجدران وتمسك خيطان طائرتها الورقيّة لتطيّرها عالياً في السماء ...
ثمّ تتنهّد رُبى، وتسافر مع طائرتها، فيهزّها صديقها- وهو صغير مثلها- ويسألها: ما بك يا رُبى؟ بمَ تفكرين؟
فتتنهّد ثانية وتقول ببراءة الطفولة: أمْجَد، أنتَ صديقي، وإن أخبرتُك لن تسخر مني، صح؟
-أكيد.. هيّا، قولي ...
-لا أطيق أن أكون عاجزةً عن... أقصد، أتمنى لو، لو ..
-لو ماذا؟ يسألها أمْجَد وقد فرغ صبره، وبلغت به الحشرية أقصى مداها .
-لن تسخر مني، لقد وعدتني.. أتمنى لو أطير عالياً كهذه الطائرة الورقية. لا أريد أن أكون طائراً، ولا أريد أن أركب طائرة تحلق بي، بل أتمنى... لا أعرف كيف أشرح هذا... فأنا أتمنى بكل بساطة لو أغلق عينيّ هكذا -وأغلقت عينيها وفتحت يديها- فأجدني محلقةً، وبواسطة نفسي فقط، إلى حيث أشاء، فأحضن الغيوم البيضاء والزرقاء، ثم أعلو أكثر لأصعد خارج تلك الحدود التي حدّثنا عنها أستاذ العلوم، فأصل إلى النجوم التي تتراقص دوماً في السماء، فهي تغمزني كل مساء... وأظنّ أنها تهمس لي قائلة: إبحثي عن نجمتك، ثم تبدأ بالغناء والشدو، كما وتبتسم لي ..

-النجوم؟ قاطعها أمْجَد ضاحكاً، إنك تحلمين في اليقظة، فما تقولينه مستحيل !!
فوقفت رُبى منزعجة من سخريته، وقالت له: لقد وعدتني بألا تسخر مني... ثم أضافت بلهجة لا تخلو من التحدّي: ثمّ إنّ جدي قد أخبرني بأنه ما من مستحيل أمام كل ذي إرادة قوية، وسوف أريك أنني أستطيع ذلك ...
وركضت الفتاة، وصديقها يعدو خلفها، ويقول لها: انتظريني، أريد أن أطير معك، ألسنا صديقين؟
وصلا إلى شجرة وارفة في حقل جدها، ارتميا تحتها على ظهريهما يلتقطان أنفاسهما، وقالت رُبى: يجب أن نطير، يجب أن نحلق معاً ..
وبينما هما كذلك، سمعت رُبى صوتاً يصدح من أعلى غصن في الشجرة. نظرت، فإذا بنسر بدا لها صغيراً، تصوّرته يبتسم لها، ويخاطبها لكن بعينيه: تعالي يا رُبى، سأجعلك تحلقين معي. فقالت له من دون أن تحرّك شفتيها: وهل النسور تتكلم؟
فابتسم ثانية بعينيه الواسعتين، وأجابها بصوته الذي صدح في تفكيرها البريء: هل تذكرين ما قاله جدك؟ تستطيعين أن تفعلي كل شيء بقوة إرادتك، ويمكنك أن تفهمي ما يدور من حولك، وأن تسمعي صوتي في أعماقك، وأن تحققي أحلامك وطموحك.. وتستطيعين أيضاً أن تشعّي ببراءتك ومحبتك، وبصفائك ذاك الذي تتميزين به... وإذا أضفتِ إلى إرادتك حبك الصادق، ستتمكنين من بلوغ تلك الغيمات، وربما أبعد ...
فهتفت رُبى في صمتها: حقاً؟ وأغمضت عينيها، فوجدت نفسها تعلو وتنظر إلى الأسفل، حيث تركت جسدها تحت الشجرة العملاقة، ثم سمعت ضحكتها البريئة تتعالى فرحاً وغبطة. نظرت قربها، فوجدت يدها تمسك بيد أمْجَد، حيث حلقا معاً ورقصا في حضن الغيمات ...
بعد قليل فتحت رُبى عينيها، وقد أيقظها صوت أمجد يقول: لن تصدّقي ما حصل، لقد طرتُ.. أمسكتِ لي يدي وحلقنا معاً في فضاءٍ لا متناهٍ، بخفّة رائعة، و.. ومن دون طائرة !!!

باسمة فهد